القصيدة

في مدح أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

رُوَيدَك لا تَهْجُ الصحابةَ واحْذَرِ ... ولا تَقْفُ كلَّ مزوِّرٍ وتَبَصَّرِ

ولا تتخيَّـــرْ سبلَ غيٍّ وشقـــوةٍ ... ولا تلعَنَنْ قومًا أناروا كَنيِّرِ

أولئك أهلُ الله فَاخْشَ فناءَهم ... ولا تقدَحَنْ في عِرضهم بتهوُّرِ

أولئك حزب الله حُـــفَّاظُ دينه ... وإيذاؤهم إيذاءُ مولًى مُؤثِّرِ

تَصدَّوا لدين الله صدقًا وطاعـــةً ... لكلّ عذابٍ محرِقٍ أو مدمِّرِ

وطهَّر وادي العشق بحر قلوبهم ... فما الزبدُ والغُـــثاء بعدَ التطهُّرِ

وجاءوا نبيَّ الله صدقا فنوّروا ... ولم يبقَ أثرٌ من ظلامٍ مُكدِّرِ

بأجنحة الأشـــواق طاروا إطاعةً ... وصاروا جوارحَ للنبيّ الموقَّرِ

ونحن وأنتم في البساتين نرتَـــعُ ... وهمْ حضروا ميدانَ قتلٍ كمَحشَرِ

وتركوا هوى الأوطان لله خالصًا ... وجاءوا الرسولَ كعاشق متخيِّرِ

على الضعف صوّالون من قوة الهدى ... على الجرح سلّالون سيفَ التشذُّرِ

أتكـــفر خلفاءَ النـــبيّ تجاسرًا ... أتلعَنُ مَن هو مثـــلُ بدرٍ منوَّرِ

وإن كنتَ قد ساءتْك أمرُ خلافةٍ ... فحارِبْ مَليكًا اجتباهم كمُشتري

فبإذنه قد وَقَعَ ما كان وَاقــعًا فلا تَبْكِ بعد ظهور قَدَرٍ مقدَّرِ
وما استخلفَ اللهُ العليمُ كذاهلٍ وما كان ربُّ الكائناتِ كمُهْتَرِ
وقُضيتْ أمورُ خلافةٍ موعــودةٍ وفي ذاك آياتٌ لقــلبٍ مفكِّرِ
وإني أرى الصدّيقَ كالشمس في الضحى مــآثرُه مقبولةٌ عنــدَ هوجرِ
وكان لذات المصطفى مثلَ ظلِّه ومهما أشار المصطفى قام كالجَرِي
وأَعطى لنصر الدين أموالَ بيته جميعًا سِوى الشيء الحقير المحقَّرِ
ولــمَّا دعــاه نبيُّــنا لرفــاقةٍ على الموت أقبلَ شائقا غيرَ مُدبرِ
وليس محــلَّ الطعن حسنُ صفاتِه وإن كنتَ قد أزمعتَ جَورًا فغيِّرِ
أبادَ هوى الدنيا لإحــياء دينه وجاء رسولَ الله من كلّ مَعبَرِ
عليك بصُحف الله يا طالبَ الهدى لتنظُرَ أوصاف العتيــق المطهَّرِ
وما إنْ أرى واللهِ في الصحب كلهمْ كمثل أبي بكرٍ بقلبٍ معطَّــرِ
تخيّرَه الأصحاب طوعًا لفضله وللبحر سلطانٌ على كلّ جعفرِ
ويثني على الصــدّيق ربٌّ مهيمنٌ فما أنت يا مسكين إن كنتَ تزدري
له باقيــات صالحات كشارقٍ له عــينُ آياتٍ لهذا التطــهُّرِ
تَصدَّى لنصر الدين في وقت عسرهِ تَبــدَّى بغارٍ بالرسول المؤزَّرِ
مَكيــنٌ أمين زاهــد عند ربّه مخلِّصُ دينِ الحقّ من كلِّ مُهجرِ
ومن فتن يُخشى على الدين شرُّها ومن محنٍ كانت كصخرٍ مكسِّرِ
ولو كان هذا الرجل رجلا منافقا فمَن للنبي المصطفى من معزِّرِ
أتحسب صدّيقَ المهيــمنِ كافرًا لقولِ غريقٍ في الضلالة أَكْفَرِ

وكان كقـــلب الأنبياء جَنانُهُ وهمّـــتُهُ صوّالة كالغضنفرِ
أرى نورَ وجه الله في عاداتـــه وجلواتـــه كأنه قِـــطعُ نَـــيِّرِ
وإنّ له في حضرة القدس درجةً فويـــلٌ لألسنةٍ حِدادٍ كخنجرِ
وخدماتُـــه مثلُ البدور منـــيرةٌ وثمراته مثل الجنـــا المستكـــثَرِ
وجاء لتـــنضير الرياض مبشّرًا فللّهِ دَرُّ منضِّـــرٍ ومبشِّـــرِ*

* إنّا بيّنا أن أبا بكر كان رجلا عبقريًّا وإنسانًا إلهيًّا، جلّى مَطْلَعَ الإسلام بعد الظلام، وكان قصاراه أنه مَن ترك الإسلام فباراه، ومن أنكر الحق فماراه، ومن دخل دار الإسلام فداراه. كابدَ في إشاعة الإسلام شدائد، وأعطى الخَلق دُررًا فرائد. ساس الأعراب بالعزم المبارك، وهذّب تلك الجِمال في المسارح والـــمَبارِك واستقراء المسالك ورُغاء المعارك. ما استفتى بأسًا، ورأى من كل طرف يأسًا. انبرى لمباراةِ كل خصيم، وما استهوته الأفكار ككل جبان وسقيم. وثبت عند كل فساد وبلوى، أنه أرسخ من رضوى، وأهلكَ كلَّ من تنبأ من كذب الدعوى، ونبذ العُلق لله الأعلى. وكان كلُّ اهتشاشه في إعلاء كلمة الإسلام واتباع خير الأنام. فدونك حافِظْ دينَك واتركْ طنينك. وإني ما قلت كمتبع الأهواء أو مقلِّد أمرٍ وجد من الآباء، بل حُبِّبَ إلي مُذْ سَعَتْ قدمي ونفَث قلمي أن أتخذ التحقيق شِرعة والتعميق نُجعة، فكنت أُنقّب عن كل خبر، وأسأل عن كل حِبر. فوجدت الصدّيق صدّيقًا، وكُشِفَ عليّ هذا الأمر تحقيقا. فإذا ألفيتُه إمام الأئمة وسراج الدّين والأمّة، شددتُ يدي بغَرْزه، وأويت إلى حِرْزه، واستنـــزلتُ رحمة ربي بحب الصالحين. فرحمني وآواني وأيّدني وربّاني وجعلني من المكرمين، وجعلني مجدِّدَ هذه المائة والمسيحَ الموعود من الرحمة، وجعلني من المُكلَّمين، وأَذهَبَ عني الحَزَنَ وأعطاني ما لَم يُعطَ أحد من العالمين. وكل ذلك بالنبي الكريم الأمّي وحُبِّ هؤلاء المقربين. اللهم فصلِّ وسلِّمْ على أفضل رسلك وخاتم أنبيائك محمد خير الناس أجمعين.
ووالله إن أبا بكر كان صاحب النبي ﷺ في الحرمين وفي القبرَين.. أعني قبر الغار الذي توارى فيه كالميت عند الاضطرار، والقبر الذي في المدينة ملتصقا بقبر خير

البرية. فانظر مقام الصديق إن كنت من أهل التعميق. حمِده اللهُ وخلافتَه في القرآن، وأثنى عليه بأحسن البيان. ولا شك أنه مقبولُ اللهِ ومستطاب، وهل يحتقر قدرَه إلا مُصاب؟ غابت شوائب الإسلام بخلافته، وكمل سعود المسلمين برأفته، وكاد أن ينفطر عمود الإسلام لو لا الصدّيق صديق خير الأنام. وجد الإسلام كالمُهتَر الضعيف، والمؤوف النحيف، فنهض لإعادة حِبْره وسِبْره كالحاذقين، وأوغل في أثر المفقود كالمنهوبين، حتى عاد الإسلام إلى رشاقة قدّه وأَسالة خدّه، ونضرة جماله وحلاوة زلاله، وكان كل هذا من صدق هذا العبد الأمين. عَفَّرَ النفس وبدّل الحالة، وما طلب الجعالة إلا ابتغاء مرضاة الرحمن، وما أظلَّ المَلَوان عليه إلا في هذا الشأن. كان محييَ الرُفات، ودافِعَ الآفات، وواقِيَ الغافات، وكلُّ لُبِّ النصرة جاء في حصّته، وهذا من فضل الله ورحمته.

والآن نذكر قليلا من الشواهد، متوكّلاً على الله الواحد، ليظهر عليك كيف أعدمَ فتنًا مشتدّة الهبوب، ومحنًا مشتطّة الأُلْهوب، وكيف أعدمَ في الحرب أبناء الطعن والضرب، فبانت دخيلةُ أمره من أفعاله، وشهدت أعماله على سرّ خصاله. فجزاه الله خير الجزاء، وحشره في أئمة الأتقياء، ورحِمنا بهؤلاء الأحباء، فتقبَّلْ مني يا ذا الآلاء والنعماء، وإنك أرحم الرحماء، وإنّك خير الرّاحمين.

فتنة الارتداد بعد وفاة النبيّ ﷺ خير الرسل وإمام العباد

لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب، إما القبيلة مستوعبة وإمّا بعض منها، ونجم النفاق، والمسلمون كالغنم في الليلة الممطرة، لقلّتهم وكثرة عدوهم وظلام الجو بفقد نبيهم. (الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون صفحة ٦٥)

وقال أيضا: ارتدت العرب عامة وخاصة، واجتمع على طليحة عوامُّ طيءٍ وأسد، وارتدت غطفانُ، وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة، وارتد خواص من بني سليم، وكذا سائر الناس بكل مكان. (صفحة٦٥)

وقال ابن الأثير في تاريخه: لما توفّي رسول الله ﷺ ووصل خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد، استخفى عتاب وارتجّت مكة وكاد أهلها يرتدون. (الجزء الأول صفحة ١٣٤)

وقال أيضا: ارتدت العرب إمّا عامة أو خاصة من كل قبيلة، وظهر النفاق واشرأبّت اليهود والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة الممطرة، لِفَقْد نبيّهم وقِلّتهم وكثرة عدوّهم، فقال الناس لأبي بكر: إن هؤلاء – يعنون جيش أسامة جند المسلمين – والعرب على ما ترى، فقد انتفضتْ بك، فلا ينبغي أن تُفرِّق جماعة المسلمين عنك، فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذتُ جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ. وقال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد النبي ﷺ مقامًا كِدْنا أَنْ نهلك لو لا أن مَنَّ الله علينا بأبي بكر ﷺ، أجمعْنا على أن نقاتل على ابنة مَخاضٍ وابنة لَبون، وأن نأكل قُرًى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين. (أيضا صفحة ١٤٢)

خروج مدّعي النبوة

وثَب الأسود باليمن، ووثب مسيلمة باليمامة، ثم وثب طليحة بن خويلد في بني أسد، يدّعي كلهم النبوة. (ابن خلدون الجزء الثاني صفحة٦٠)

وتنبأتْ سجاحُ بنت الحارث من بني عقفان، واتبعها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وعقبة بن هلال في النمر، والسليل بن قيس في شيبان، وزياد بن بلال، وأقبلتْ من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر ﷺ. (صفحة ٦٥)

استخلافه ﷺ أبا بكر ﷺ نائبا عنه للإمامة في الصّلاة

قال ابن خلدون: ثم ثقل به الوجعُ وأُغميَ عليه، فاجتمع عليه نساؤه وأهل بيته والعباس وعليّ، ثم حضر وقتُ الصلاة فقال: مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس. (الجزء الثاني صفحة ٦٢)

مكان أبي بكر ﷺ من النبي ﷺ

وقال ابن خلدون: ثم قال رسول الله ﷺ بعدما أوصى بثلاث: سُدُّوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلَم امرءًا أفضل يدًا عندي في الصحبة من أبي بكر. (الجزء الثاني صفحة ٦٢)

شدّة حُبّ أبي بكر للنّبي ﷺ

وذكر ابن خلدون: وأقبل أبو بكر ودخل على رسول الله ﷺ، فكشف عن وجهه وقبّله، وقال: بأبي أنت وأمّي، قد ذُقتَ الموتة التي كتب الله عليك، ولن يصيبك بعدها موتة أبدًا. (أيضا صفحة ٦٣)

وكان من لطائف منن الله عليه واختصاصه بكمال القرب من النبي ﷺ كما نص به ابن خلدون أنه ﷺ حُمل على السرير الذي حُمل عليه رسول الله ﷺ وجُعل قبره مثلَ قبر النبي مسطَّحًا، وألصقوا لحده بلحد النبي ﷺ، وجُعل رأسه عند كتفي النبي ﷺ، وكان آخر ما تكلم به: تَوَفَّني مسلِمًا وأَلْحِقْني بالصالحين. (صفحة ١٧٦)

ولنكتب هنا **كتابا كتبه الصدّيق إلى قبائل العرب المرتدة** ليزيد المطّلعون عليه إيمانا وبصيرة بصلابة الصدّيق في ترويج شعائر الله والذبِّ عن جميع ما سَنَّه رسول الله ﷺ:

"بسم الله الرحمن الرحيم

مِن أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامّة وخاصّة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقرّ بما جاء به ،ونُكفّر مَن أبى ونجاهده.

أمّا بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لينذر من كان حيًّا ويحِقَّ القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها. ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفّذ لأمر الله ونصح لأُمّته وقضى الذي كان عليه. وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ

وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [1]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [2]، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [3]، فمَن كان إنما يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له، فإن الله له بالمرصاد. حيٌّ قيّومٌ، لا يموت، ولا تأخذه سِنَة ولا نوم، حافظٌ لأمره، منتقم من عدوّه يجزيه.

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظّكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيّكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه لمبتلى، وكل من لم يُعنْه مخذول. فمن هداه الله كان مهتديا، ومن أضلّه كان ضالا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [4]، و لم يُقبَل منه في الدنيا عمل حتى يقرّ به، و لم يُقبَل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع مَن رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به اغترارًا بالله وجهالةً بأمره وإجابةً للشيطان. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظالِمِينَ بَدَلاً﴾، [5] وقال: ﴿إِن الشيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [6]. وإني بعثتُ إليكم فلانا من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه أن لا يُقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومن أَبَى أمرتُ أن يُقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام. فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز الله. وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم. والداعية الأذان، وإذا أذّن المسلمون فأذّنوا، كُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم، وإذا أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم وإن أقرّوا قُبِلَ منهم.

==========

[1] (الزمر:٣١) [2] (الأنبياء:٣٥) [3] (آل عمران:١٤٤) [4] (الكهف:١٨) [5] (الكهف:٥٠) [6] (فاطر:٧)

وشابَــهَهُ الفاروق في كل خطّةٍ ... وساسَ البــرايا كالمليك المدبّرِ
سعى سَعْيَ إخلاص فظهرتْ عزّةً ... وشأنٌ عظيم للخلافة فانظُــرِ
وصبّغ وجهَ الأرض مِن قتلِ كفرة ... فيا عجــبًا مِــن عزمه المتشمِّرِ
وصار ذُكاءً كوكبٌ في وقتــهِ ... فــواهًا له ولوقتــه المتطهِّــرِ
وبارَى ملوكَ الكفر في كل معرَكٍ ... وأهــلكَ كلَّ مبارز متكبّرِ
أرى آية عظــمى بأيدٍ قــويةٍ ... فــواهًا لهذا العبــقريّ المظفّرِ
إمــامُ أناسٍ في بِجــادٍ مرقَّعٍ ... مليــكُ ديار في كساء مغبَّرِ
وأُعطــيَ أنوارا فصارَ محدَّثًا ... وكلَّــمه الــرحمن كالمتخيّرِ
مآثــره مملــوّة في دفــاترٍ ... فضــائلــه أجلى كبدرٍ أنورِ
فــواهًا له ولسعــيه ولجهدهِ ... وكان لدين محمد خيرَ مغفرِ
وفي وقته أفــراسُ خيلِ محمّدٍ ... أثــرنَ غبارا في بلاد التنصّرِ
وكسَّر كسرى عسكرُ الدين شوكةً ... فلم يبق منهم غيرُ صُور التصوّرِ
وكان بشوكته سليمــانَ وقته ... وجُعلتْ له جنُّ العدا كالمسخَّرِ
رأيتُ جلالــة شأنه فذكــرتُهُ ... وما أمدحُ المخلوق إلا لجوهرِ
وما إنْ أخاف الخَلقَ عند نصاحة ... وإن المرارة يلــزَمَنْ قولَ مُنذرِ
فلما أجازت حُلَلُ قولي لُدونةً ... وغــارت دقائقُه كبئرٍ مقعَّرِ
فأفتــوا جميعا أنّ كفرك ثابتٌ ... وقتلك عملٌ صالح للمــكفِّرِ
لقد زيّنَ الشيطانُ أوهامَهم لهم ... فتركوا الصلاحَ لأجل غيٍّ مُدْخرِ
وقد مسخَ القهّارُ صورَ قلوبهم ... وفقدوا من الأهواء قلبَ التدبُّرِ

وما بقيتْ في طينهم ريحُ عفّةٍ فــذَرْهم يسبّوا كلَ بَرٍّ موقَّرِ
وقد كُفِّرَتْ قبلي صحابةُ سيّدي وقد جاءك الأخبارُ من كل مُخْبِرِ
يُسِــرّون إيذائي لجــبن قلوبهم وما إنْ أرى فيهم خصيمًا ينبري
يفرّون مني كالثعالب خشــيةً يخافون أسيافي ورمحي وخنجري
ومنهم حِراصٌ للنضال عداوةً غلاظٌ شدادٌ لو يطيقون عسكري
قد استترتْ أنوارُهم من تعصّبٍ وإني أراهم كالدَّمال المــعَفَّرِ
فأعرضْنا عنهم وعن أرجائهم كأنّا دفــنّاهم بقــبرٍ مقَــعَّرِ
ووالله إنا لا نخاف شــرورَهم نقلنا وَضيئــتَنا إلى بيتِ أقدرِ
وما إن أخاف الخَلق في حكم خالقي وقد خَوَّفوا واللهُ كهفي ومَأْزَرِي
وإن المهيمن يعلَمَنْ كلّ مُضْمَري فدَعْني وربي يا خصيمي ومُكْفِري
ولو كنتُ مفتريا كذوبا لضَــرَّني عداوةُ قومٍ جرَّدوا كلّ خنجرِ
بوجه المهيمن لستُ رجلا كافرا وإن المهيمن يعلَمَنْ كلّ مُضْمَري
ولستُ بكــذّاب وربّيَ شاهدٌ ويعلمُ ربي كلَّ ما في تصوُّري
وأُعطِيتُ أســرارا فلا يعرفونها وللناس آراءٌ بقــدْرِ التبصُّــرِ
فسبحانَ ربِّ العرش عمّا تقوَّلوا عليه بأقوال الضلال كمُفتَري
وما أنا إلا مسلــمٌ تابعُ الهدى فيا صاحِ لا تَعجَلْ هوًى وتَدَبَّرِ
ولكنْ علومي قد بدا لُبُّ لُــبِّها لِما رَدِفَتْها ظُفْرُ كَشْفٍ مقَشِّرِ
لقد ضلّ سعْــيًا مَن أتاني مخالفًا وربي معي واللهُ حِبِّي ومُوثِري
ويعلو أولو الطغوى بأوّل أمرِهم وأهلُ السعادة في الزمان المؤَخَّرِ

ولو كنتَ من أهل المعارف والهدى لصـــدَّقْتَ أقوالي بغير تحـــيُّرِ
ولو جئتَني من خوفِ ربٍّ محاسبٍ لأصبَحْتَ في نعمائه المستَكثَرِ
ألا لا تُضِعْ وقتَ الإنابة والهُدَى صُدودُك ســـمٌّ يا قليلَ التفكّرِ
وإن كنت تزعمُ صبرَ جسمِك في اللّظى فجـــرِّبْهُ تمرينًا بحرْقٍ مسَـــعِّرِ
وما لك لا تبـــغي المعالِجَ خائفًا وإنك في داءٍ عُضالٍ كمُحصَرِ
فيا أيها المُرخـــي عِنانَ تعصّبٍ خَفِ اللهَ واقبَلْ تُحْفَ وعظِ المذكِّرِ
وخَفْ نارَ يومٍ لا يَرُدُّ عذابَـــها تدَلُّلُ شيـــخٍ أو تظاهُرُ مَعْشرِ
سئِمنا تكاليفَ التـــطاول مِن عِدا تمادتْ ليالي الجَور يا ربِّ فَانْصُرِ
وأنتَ رحيم ذو حـــنان ورحمةٍ فنَـــجِّ عبادَك من وبالٍ مدمِّرِ
رأيتُ الخطـــايا في أمور كثيرةٍ وإسرافَنا فاغـــفِرْ وأيِّدْ وعَزِّرِ
وأنتَ كريمُ الوجهِ مَولى مُجامِلٌ فلا تطرُدِ الغلمانَ بعد التخيُّرِ
وجئناك كالموتى فأَحْيِ أمورَنا ونستغفِرَنْك مستغيثين فَاغْفِرِ
إلى أيِّ باب يا إلهـــي تَـــرُدُّني أتتركُني في كفِّ خصمٍ مُخسِّرِ
إلهي فدَتْك النفسُ أنت مقاصدي تعالَ بفضـــلٍ من لدُنْك وبَشِّرِ
أأعـــرضتَ عنّي لا تكلّمُ رحمةً وقد كنتَ من قبلِ المصائبِ مُخبِري
وكيف أظنُّ زوالَ حُبِّك طُرفةً ويَأْطِـــرُ قلبي حبُّك المتَكـــثِّرِ
وجدتُ السّعادة كلَّها في إطاعة فوَفِّقْ لآخَرَ من خلوصٍ ويَسِّرِ
إلهي بوجهك أَدْرِكِ العبدَ رحمةً تعالَ إلى عبدٍ ذليـــلٍ مُكـــفَّرِ
ومِن قبل هذا كنتَ تسمع دعوتي وقد كنتَ في المضمار تُرسي ومأْزَري

إلهي أَغِـــثْني يا إلهي أَمِـــدَّني وبَشِّرْ بمقصودي حنانًا وخَبِّرِ
أَرِني بنورك يا ملاذي ومَلجَئي نعوذ بوجهك من ظلامٍ مُدَعْـــثِرِ
وخُذْ رَبِّ مَن عادَى الصلاحَ ومفسدًا ونَـــزِّلْ عليه الرِّجْزَ حقًّا ودَمِّرِ
وكُنْ ربِّ حنّانًا كما كنتَ دائمًا وإن كنتُ قد غادرتُ عهدًا فذَكِّرِ
وإنّك مولى راحمٌ ذو كرامةٍ فبَعِّدْ عنِ الغلمان يومَ التشوُّرِ
أرى ليلـــةً ليلاءَ ذاتَ مخـــافةٍ فَهَـــنِّئْ وبَشِّـــرْنا بيومٍ عبقري
وفَرِّجْ كُروبي يا كريمي ونَجِّني ومَزِّقْ خصيمي يا إلهي وعَفِّرِ
وليستْ عليك رموزُ أمري بغُمّةٍ وتعرفُ مستوري وتدري مقَعَّري
زلالُك مطلوبٌ فأَخْرِجْ عُيونَه جلالُك مقصودٌ فأيِّدْ وأَظْـــهِرِ
وجدناك رحمانًا فما الهَمُّ بعدَهُ نعوذ بنورك من زمانٍ مُكـــوِّرِ
وآخر دعوانا أنِ الحمدُ كلُّـــهُ لربٍّ كـــريمٍ قـــادرٍ ومَيَـــسِّرِ